كَمْشَتْكا

هي شبه جزيرة باقصى شرق سيبيريا شمالاً موقعها على بحر بيرنغ بين ٥١° و٦٣° من العرض الشمالي و١٥٣° و ١٧١° من الطول الشرقي من هاجرة باريز. وهي ممتدّة من الشمال الى الجنوب وطولها ١٣٥٠ كيلومتراً ومتوسط عرضها ٣٧٥ كيلومتراً واهلها يبلغون ٢٠٠٠٠ نفس نحو ثلاثة ارباعهم من منفيّي الروس والباقون من الوطنيين وبينهم اخلاطٌ أُخر من سكان تلك النواحي

وارض كمشتكا جبلية تخترقها من طرفها الشمالي الى الطرف الجنوبي سلسلة جبال بركانية تقسمها الى شطرين متساويين وعاصمتها تسمى بْتْرُو بَڤْلُسكي أُسست سنة ١٧٤٨ على العُدوة الشرقية من خَور أَقَتْشا وهي ذات مرسى امين وفيها نُصْبان رُفِعا ذكراً لاثنين من مشاهير اهل السياحة وهما بيرنغ مكتشف المضيق المنسوب اليهِ في تلك الناحية ولاپيرُوز

اما هواء هذه الارض فهو باردٌ جدًّا والشتاء هناك يستمرّ ثمانية اشهر والصيف مع قصرهِ شديد القيظ ولا يبتدئ خروج النبات قبل شهر يونيو ويظهر الصقيع منذ اوائل اوغسطس

وفي شبه الجزيرة المذكور اربعون بركاناً منها اثنا عشر لا تزال متقدة ويبلغ ارتفاع اعلاها ٤٨٠٠ متر. وجبالها كثيرة الغابات من الشربين والحور وغيرهما وفيها كثير من الحيوانات التي تصلح جلودها للفرآء كالثعلب والسمّور وكلب الماء وابن عرس والدبّ والذئب والاروى وغير ذلك . وفيها سوقان

حافلتان للفرآء يأتيهما الصيادون من جميع تلك الاطراف يحملون اليهما الجلود الثمينة ويقصدهما التجار من اوربا واميركا وغيرهما فتباع عليهم تلك الجلود بالمزاد

وتأتيها اسرابٌ لا تُحصى من قواطع الطير من كل نوع فترتع في غاباتها الفسيحة وفيها كثيرٌ من الانهار والبحيرات الغاصّة بانواع الاسماك وهي بالغة اعظم مبلغ من الكثرة حتى تؤخذ باليد . ومتى جمدت الانهار في مدة الشتآء تبقى تلك الاسماك محبوسة فيها بغير حراك فتموت باسرها ومتى انحلّ الجمد في مدة الصيف يصبح المآء سمًّا ذُعافاً لما يحلّ فيهِ من جثثها وينتن ما حولهُ من الهوآء

واهل كمشتكا قصار القامات حادرو الاجسام عراض الاكتاف والوانهم الى السواد وشعورهم فاحمة وعيونهم صغيرة ووجوههم مفلطحة وافواههم شديدة الاتساع . وهم في منتهى القذارة والتفالة لا يغتسلون البتة ولا يقلّمون اظفارهم ولا يمتشطون وكلهم تفوح منهم زهومة السمك

اما لباسهم فمن الجلود وطعامهم السمك وجذور النبات وبعض حبّ الاشجار ويسكنون مدة الشتآء في اكواخٍ يغشّونها بالجلد وفي الصيف في اكواخ من الهشيم . وهم يسافرون على زلاّجاتٍ تجرّها الكلاب وقد ذكر بعضهم ان اربعة كلاب تجرّ ٨٠ كيلغراماً ما خلا الراكب واثقالهُ وتقطع ثلاثين كيلومتراً في اليوم . وهذه الزلاجات تكون عالية ضيّقة فلا يأمن الراكب ان ينقلب عنها الى الارض واذا اتفق لهُ ذلك في برّيةٍ مقفرة هلك في مكانهِ لان الكلاب لا تقف ما لم تبلغ المنزل ولذلك يحتاط الراكب بان

يربط نفسهُ بالزلاجة . واشدّ ما يكون هذا السفر خطراً اذا فوجئ الركاب بزوبعةٍ يصحبها اعصارٌ ثلجيّ فيضطرّون ان يلجأوا الى الغابات ويلبثوا فيها مع كلابهم الى ان تسكن الزوبعة وهي قد تستمرّ مدة اسبوع كامل. ومتى شعرت الكلاب بصعوبة السفر تابث ساكنةً ولكنها اذا تمادى عليها الامر لا تصبر على الجوع فتأكل السيور والاعنّة ورُبُط الزلاّجات

واهل هذه البلاد على اعظم جانبٍ من الجهل حتى انهم لا يعرفون اعمارهم ويعدّون على اصابع ايديهم وارجلهم فلا يستطيعون ان يعدوا ما فوق العشرين. ومن غريب عوائدهم ما ذكرهُ احد السيّاح قال اذا اراد احدهم ان يخطب مودّة انسان يدعوهُ ليأكل عندهُ فيدفئ كوخهُ اكراماً للضيف ويُعِدّ لهُ من فاخر طعامهِ ما يكفي عشرة انفس . ومتى حضر يتجرد كلٌّ من الداعي والمدعوّ من ثيابهِ جملةً ثم يجلس الضيف الى الطعام ويقوم المضيف في خدمتهِ وهو لا يأكل شيئاً من المأدبة التي اعدّها ولكنهُ يلجئ الضيف ان يأكل ويشرب بدون ان يتوقف لحظةً وهو بين ذلك يصبّ الماء على حجارةٍ يحميها في المستوقد الى حدّ الحمرة للزيادة في تدفئة الكوخ . وعلى الضيف في تلك الحال ان يأكل ويشرب كل ما يقدَّم اليهِ حتى يبلغ نهاية الكظّة ويضطرّ ان يتقيأ عدة مرات ولا يزال كذلك حتى يعترف بالعجز ويفتدي نفسهُ بهدايا ثمينة على ما يقترح المضيف وان لم يفعل المضيف ذلك عدَّهُ الضيف مقصراً في حقهِ واتهمهُ بالبخل واساءة ادب المعاشرة

واما دينهم فكانوا قديماً على مذهب الشامانية وهو مذهبٌ شائعٌ في تلك الناحية وقد تقدم لنا شيءٌ من الكلام عليهِ في غير هذا الموضع. والشامانية

نسبةٌ الى الشامان وهو الكاهن بلسانهم وهم يعبدون كائناً اسمى يزعمون انهُ يقيم في الشمس ولهُ نوّابٌ من الآلهة الصغرى يجرون احكامهُ في الارض وهم ارواحٌ بعضها صالحٌ وبعضها شرير اهولها روحٌ يسمى الشيطان . ويمشي كهنتهم وهم يحملون باليد الواحدة ذنب حصان وبالاخرى طبلاً يطردون بهِ ارواح السوء وهم يحكمون على الامور المستقبلة ويتعاطون كل انواع الشعوذة . الا ان هذا المذهب قد كاد ينتسخ من بينهم لان اكثرهم انتحلوا الدين المسيحي ولهم عيدٌ واحدٌ في السنة يقع في شهر نوڤمبر وهو عندهم شهر تكفير الآثام

وهذه الارض اليوم تابعةٌ لمملكة روسيا وقد دخلت في حوزتها سنة ١٧٠٦ ولكنها لم تمتلكها الا بعد ان تابعت اليها ارسال البعوث لان اهلها كانوا يأخذونهم بالمخاتلة والمكر . وكان اول بعثٍ وجهتهُ اليها نفراً من قوزاق سيبيريا سنة ١٦٩٠ فاظهروا لهم التودد والخضوع ثم اخذوهم الى اكواخهم فاحرقوا بعضهم وهم نيام واهلكوا الباقين بالسمّ . وآخر الامر صدّقتهم القتال ولم يكن لهم سلاح الا القسيّ فلم يثبتوا امام السلاح الناري فملكتهم عنوةً

والظاهر ان هذه البلاد كانت فيما سلف من الدهر عامرة بالسكان وكان لاهلها حظٌّ من الحضارة على خلاف ما هي عليهِ لهذا العهد فقد ذكر بلّبي انهُ يُرَى فيها كثيرٌ من السدود والارصفة المبنية بالحجارة المنحوتة . على ان امثال هذه الآثار توجد في جميع تلك الناحية من شمالي آسيا واوربا ممايدل على حضارةٍ قديمةٍ هناك لا يُعلم تأريخها ولاسبب اضمحلالها والله مقلّب الليل والنهار

———